الحمد لله أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، أحمده سبحانه وأشكره على نِعَمِهِ واسألُه المزيدَ من فضلِه، وأشهدُ أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته، وأشهد محمدا عبده ورسوله العربي الأميُّ الأمينُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين،وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين **أما بعد** فأُوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل فهي خير الوصايا وأفضل العطايا(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون) (١).

أيها المؤمنون: إن الله يُنزلُ على كل نبي كتاباً بلسان قومه، قال جل ثناؤه في محكم تنزيله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} (٢) . وقال لنبيه محمدٍ صلى الله عليه

(١) سورة آل عمران، آية:102.

(٢) سورة إبراهيم، آية: 4.

وسلم: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٣) .قال الطبري رحمه الله: فغير جائز أن يكونَ به مهتديًا، منْ كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلا.

فقد تبين إذًا أن كلَّ رسولٍ للهِ جل ثناؤه أرسله إلى قوم، فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكلَّ كتابٍ أنزله على نبيٍ، ورسالةٍ أرسلها إلى أمة، فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه. فاتضح بما قلنا ووصفنا، أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم. وإذْ كان لسانُ محمد صلى الله عليه وسلم عربيًّا، فبيِّنٌ أن القرآنَ عربيٌّ. وبذلك أيضًا نطقَ مُحكمُ تنزيلِ ربِنا، فقال جل ذكره: {إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (٤).قال

(٣) سورة النحل، آية: 64.

(٤) سورة يوسف، آية: 2.

الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٥) : " وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ؛ فَلِهَذَا أنزلَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ، عَلَى أَشْرَفِ الرُّسُلِ، بِسِفَارَةِ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَابْتَدَئَ إِنْزَالُهُ فِي أَشْرَفِ شُهُورِ السَّنَةِ وَهُوَ رَمَضَانُ، فَكَمُلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ ." .

أيها المسلمون: إنَّ القرآنَ نَزلَ بلسانِ بعضِ العربِ قال عز وجل : {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (٦)(٧).

قال الإمام الطوفي (٨) : "المراد باللسان هنا: اللغة."

---

(٥) تفسير ابن كثير (4 / 365).

(٦) سورة الشعراء، آية: 192-195.

(٧)تفسير الطبري (1 / 11-12)

(٨)الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (ص235).

. قال أبو جعفر: قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربي، وأنه نزل بألسُن بعض العرب دونَ ألسن جميعها، وأن قراءة المسلمين اليوم -ومصاحفَهم التي هي بين أظهرهم- ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها. (٩)

إخوة الدين: إن الله نزل القرآن فجعله عَربياً مُبيناً تِبياناً وتَثبيتا وهدًى ورَحمةً مُفصلاً مُيسراً ، قال الله تعالى(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)) (١٠). وقال عز وجل (حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ كِتابٌ فُصِّلَتْ بينت آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١١) . قال

(٩)تفسير الطبري (1 / 73)

(١٠) سورة النحل، آية:12-103

(١١) سورة فصلت، آية:1-3.

الثعلبي:ولو كان غير عربي لما علموه [١٢] .وقال القرطبي:لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلاما لمن لسانه غير العرب، كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط. واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من كلام غير العرب [١٣]. {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [١٤].قال ابن سعدي : أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة [١٥].عن الزهري، وأخبرني أنس بن مالك، قال: «فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد

---

(١٢)تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8 / 285).

(١٣)تفسير القرطبي (1 / 68)

(١٤) سورة القمر، آية:17.

(١٥)تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ص: 9) .

الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوها في المصاحف» ، وقال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا» (١٦).

أيها الإخوة: إن تَعلُمَ اللغةِ العربيةِ مُهمٌ جدا؛لأنها لغةُ القرآنِ بها يُقرأُ، ويُعرَفُ ويُفهُم، وكذلك يُقرأُ بها حديثُ النبيِ وسنتُه ويُحفظون من اللحنِ والخطأِ والعُجْمَةِ في النُطقِ ،فلابد من تعلُمِها ومعرِفتِها وفَهْمِها وضَبْطِها؛ لِفَهْمِ القرآنِ والسنةِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه الله (١٧) : " إن نفسَ اللغةِ العربيةِ من الدين، ومعرِفتَها فرضٌ واجبٌ، فإن فَهمَ الكتابِ والسنةِ فرضٌ، ولا يُفهمُ إلا بفهمِ اللغةِ العربيةِ، وما لا يتمُ

(١٦)أخرجه البخاري باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب وقول الله تعالى حديث رقم (498)صحيح البخاري (6 / 182).

(١٧)اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (1 / 527) .

الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما هو واجبٌ على الكفاية.."

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله [18] : " إن هذه الشريعة المباركة عربية، فمن أراد تَفَهُمَها فمن جهة لسان العرب يُفهَم، ولا سبيل إلى تطلب فهمها من غير هذه الجهة."

وَقَالَ: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فُصِّلَتْ: 44] .إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَرَبِيٌّ وَبِلِسَانِ الْعَرَبِ، لَا أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ وَلَا بِلِسَانِ الْعَجَمِ، فَمَنْ أَرَادَ تَفَهُّمَهُ، فَمِنْ جِهَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ يُفْهَمُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَطَلُّبِ فَهْمِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ [19] .

---

[18] الموافقات 2/ 64.

[19] الموافقات (2 / 102).

وقال الإمام المبارك مجد الدين ابن الأثير ([٢٠]) : " معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره، لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب" . ؛ وقال الجاحظ: إنَّ اللغةَ العربيةَ لغةُ القرآنِ الذي ينطوي على الوحيِ والشريعةِ وعليه مدارُ أبَحاثِهم، وعلى قَدرِ تَضلُعِهِم منها يكونُ إِدراكُهُم لمعاني القرآنِ وتمَكُنُهم من تأويل آياتِهِ ([٢١]) .

أيها المتقون:إن المُلاحظَ لِحالِ بعضِ المسلمينَ يجدُ تهاوناً في اللغةِ ومعرِفتِها بل أصبحَ عربياً أعجمياً، بل إنَّ الأبناءَ والبناتِ أصبحتْ اللغةُ العربيةُ أصعبَ الموادِ الدراسية ففيها يُخفقون ويتأخرون، فصارت هماً وغَماً حتى لحنَ من بعضُ من يؤُمُ الناس في القرآن، وقَلبَ مَعانيَ القرآنِ والحديثِ

([٢٠])جامع الأصول 1/ 37.

([٢١])البيان والتبيين (1 / 10).

بعضُ الطلاب، و بعضُ المعلمينَ يُعلمون الطلابَ وهو يجهلُ العربيةَ ويَخافُها، حتى أصبح إخونُنا العجمُ أضبطَ للغةِ العربيةِ، فصاروا يأتوننا بفضلِ اللهِ عليهم؛ لِيعلِمُونَنا نُطقَ القرآنِ والحديثِ، ويعلمون أبناءنا، فقد فضلَّهم اللهُ علينا بحرصهم على القرآن والحديثِ،والدولةُ وفقها اللهُ بذلت الغاليَ والنفيسَ ؛ لتعلِيمنا وتعليمِ أبناءِنا وبَناتِنا ، فهل نعودُ ونرجعُ للمنبعِ الذي لايَنضَبُ، ونرفعُ بِلُغةِ كِتابِنا وسُنةِ نبيِنا رأساً؟.

أيها الأباءُ والأمهاتُ:

أيها المُعلمُون والمُرَبُون: هل نَرضى أن يعيشَ الأبناءُ والبناتُ والطلابُ والطالباتُ لايعرفون كتابَ ربِهِم وسنةَ نَبِيِهِم، ابذروا فيهم حُبَ اللغةِ العربيةِ، وقرِّبُوا لهم بُعدَها ادعموهم ، وشجِعُوهم، ورَغِّبُوهم في اللغةِ العربيةِ؛ليعيشوا سعداءَ بِفَهمِ

كتابِ رَبِهِم ، وفَهمِ سَنةِ نَبِيهم، ويَمتثلوا أوامرهما ، ويتجتنبوا نواهيهما، ويتلذذوا ببلاغتهما، ويعلموا عالميةَ دِينهم وبلاغَةَ كِتابِ ربِهِم وسُنةِ نَبِيِهِم، ويتلذَذوا كما تلذَذَ نَبِيُهُم وصحَابتُهُ بالقرآنِ والسنةِ.وتشرفوا بشرفكم الذي شرفكم الله به (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [٢٢].

وكتبه/

د. سعد بن عبدالله السبر

إمام وخطيب جامع الشيخ عبدالله الجارالله بالرياض

الخميس 1436/3/4

salsaber@hotmail.com

---

[٢٢] سورة الزخرف، آية: 44.